İmam Maturidi Nebe Suresi

الماتريدي - 333 :

سورة النبأ :

سورةُ النبأِ [ وهي مكية ]

1-(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ)

الآيتانِ 1و2 : قولُهُ تعالى : { عمَّ يَتساءلونَ }{ عَن النبإِ العظيمِ } ؟ اخْتُلِفَ في التَساؤلِ :
فمنهمْ مَن ذَكرَ أنَّ التَساؤلَ كَان عَن أمْرِ النبيِ صلى الله عليه وسلم سَألوا عَن حَاله : أَهُو نَبيٌّ أمْ ليسَ بِنبيٍ ؟ ومِنهمْ مَن ذَكرَ أنَّ التساؤلَ كانَ عَن القرآنِ أنَّه مِن اللهِ تَعالى ؟ ويَتساءلونَ فِي مَا بَيْنَهُم : هَلْ تَقدِرونَ عَلى إتيانِ مِثْلهِ أمْ لا ؟ وجَائزٌ أنْ يَكونَ التَّساؤلُ عَن أمرِ البعثِ وعَن التوحيدِ كَما قالَ اللهُ تَعالى خَبرا عنْهُم : { أَجَعَلَ الآلهِةَ إلهَا وَاحدا } ؟ [ ص : 5 ] .
ثم جائزٌ أنْ يَكونَ هذا السؤالُ مِنَ أهلِ الكفرِ ؛ سَأل بَعضُهُمْ بَعضا ، واخْتَلفوا فيهِ ، ولَمْ يَحصلوا مِن اختلافِهم على إصابةِ الحقِ .

2-(عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ)

3-(الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ)

4-(كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)

الآيتان 4 و5 : ألا تَرى إلى قَولِهِ تَعالى : { كلا سيعلمون }[ { ثُمَّ كَلا سَيَعلمونَ } ] ؟ ولَو كَان فِيهم مُصَدِّقٌ لَكانَ وَقَعَ لَه العِلمُ في ذلكَ الوقتُ ، فلا يحتاجُ إلى أنْ يَعْلَمَهُ ، ويُبَيِّنَهُ .
فإنْ كَان السؤالُ عَن حالِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم فَوَجْهُ اخْتِلافِهِم أنَّ بَعْضَهم يَزْعُمُ أنَّه شاعرٌ ، وقالَ بَعضُهُم : هُو سَاحِرٌ ، وقالَ بَعضُهم : مُفْتَرٍ كذابٌ ، وادَّعى بعضهُمْ أنَّه مَجنونٌ .
وجائِزٌ أنْ يَكونَ السؤالُ مِن الكفرةِ لِلمؤمنينَ ، وإنْ كَان على هَذا مَا ذَكرَهُ أهلُ التفسيرِ ؛ فَهُم بَينَ مُصدِّقٍ ومُكذبٍ ؛ يُرادُ بِالْمُكذِّبِ الذينَ صَدُّوا عنهمُ السؤالَ ، ويُرادُ بِالْمُصدقِ أهلُ الإسلامِ الذينَ سُئِلُوا .
ثم لا يجوزُ لأحدٍ تَحصيلُ السؤالِ عَلى جهةٍ واحدةٍ والْقَطعُ عليهِ بالتوفيقِ الْمُوجِبِ لِلعلمِ .

6-(أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا)

الآية 6 : ثُمَّ فِي قولهِ تَعالى : { ألمْ نجعلِ الأرضَ مِهَادا } جوابٌ عَما سَبقَ مِن المسائلِ : فإذا كَان السائلُ عَن أمرِ الرِّسالةِ فَحقُّهُ أنْ يُحْمَلَ على جهةٍ غيرَ الجهةِ التي يُحْمَلُ [7](file:///C%3A%5C%5CUsers%5C%5Cpc%5C%5CAppData%5C%5CLocal%5C%5CTemp%5C%5CTempNoteT.htm%237%22%20%5Ct%20%22Notes) عليهَا إذا صُرِفَ التَّساؤلُ إلى أمرِ البعثِ وإلى أمرِ التوحيدِ أو القرآنِ .
والأصلُ فيهِ أنَّ اللهَ تَعالى بِما ذَكَرَ مِن مِهادِ الأرضِ وخَلْقِ الأزواجِ ذَكَّرَ عِبادَهُ عظيمَ نِعمهِ وكثرةِ إحسانِهِ إليهم لِيَسْتَأدِي مِنهم الشكرَ . وإذا وَقَعَتْ لهم الحاجةُ إلى الشكرِ احتاجوا إلى مَن يعرِّفُهُم بما بهِ يُشْكَرُ اللهُ تعالى ، وكيفَ يُؤدَّى شُكَرَهُ ، إذ لا يُعْرَفُ في كُلِّ وَجْهٍ شُكْرُهَا إلا بالتوفيقِ ، فَيَضْطَرُّهم ذلكَ إلى مَن يُبيِّنُ لَهم ، واحتاجوا إلى مَن يُعرِّفُهم الوعدَ والوعيدَ مَحلَّ الشكرِ ومحلَّ الكفرِ ومحلَّ الولايةِ ومحلَّ الْمُعاداةِ ؛ إذْ وجَدوا هذهِ الدنيا تَمُنُّ على الأولياءِ وعلى الأعداءِ على حالةٍ واحدةٍ ، فاحتاجوا إلى مَن يُعرِّفُهم الوعدَ والوعيد ، وأْوَجبَ مَا ذَكرنَا القولَ بالبعثِ لِيُظهِرِ بهِ مَنزلةُ الشكورِ والكفورِ .
وفي ذِكرِ هذهِ النعمِ أيضا دلالةُ الوحدانيةِ لأنَّ اللهَ تَعالى مهدَّ الأرضَ ، فَجعلها مُتَمَتَّعا للخلقِ ، وأخرجَ منها ما يَتعيَّشونَ به ، وجَعل/ 622 – ب/ سببِ الإخراجِ مَا ينزلُ مِن السماءِ مِن القَطرِ ، فَجعلَ مَنافعَ الأرضِ مُتصلةٌ بِمنافعِ السماءِ .
فلو لَم يَكنْ مُدبرُهُما وَاحدا لانْقَطعَ الاتصالُ ، ثم لو أرادَ أحدٌ أنْ يَعرفَ المعنى الذي يقعُ له إحياءُ الأشياءِ بالماءِ لم يصلْ إليهِ ، ولو أرادوا أنْ يَتداركوا الوجهَ الذي صَلحَ هذا الطعامُ أنْ يَكونَ سَببا لِدفعِ الحاجاتِ وقَطعِ الشهواتِ لم يَقفوا عليهِ ، فَيكون في ما ذَكرنا إزالةُ الشبهِ والشكوكِ التي تَعترضُ لهم في الأمورِ الخارجةِ عن تدبِيرِهم وقِواهُم .
وقولُهُ تعالى : { كلا سيعلمون }{ ثم كلا سيعلمون }فِمنهم مَن ذَكر[ أنّ ] هذا وعيدٌ ، وقدْ ذكرنا أنَّ حَرف الوعيدِ مما يُكرِّرهُ العربُ في ما بينهم للتأكيدِ [ كما قال ] : { \* هيهاتَ هيهاتَ لما تُوعدونَ }[ المؤمنون : 36 ] وقالَ : { أوْلَى لكَ فَأولى }{ ثُمَّ أوْلَى لَكَ فَأوْلَى }[ القيامة : 34و35 ] .
وجائزٌ أنْ يَكونَ قولُهُ : { كلا سيعلمون } على عِلمِ دلالةٍ ، وقولُهُ تَعالى : { ثم كلا سيعلمون } على عِلمِ المشاهدةِ والعيانِ .

7-(وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)

الآية 7 : وقولُهُ تعالى : { ألم نجعل الأرض مهادا } أي بِساطا{ والجبال أوتادا } ذُكِرَ أنَّ الأرضَ لما خُلِقَتْ مَا بَدَتْ لِأهْلِها ، فَأرسَاها اللهُ تَعالى بالجبالِ لُطفَا مِنُهُ ، لا أنْ جَعلها سَببا للإرساءِ .
ألا تَرى إلى قولهِ تعالى : { ويَسْألونُكَ عَن الجبالِ فقُل يَنْسِفُها ربي نَسْفا }{ فَيَذَرُهَا قَاعا صَفْصَفا }{ لا تَرى فِيها عِوَجَا ولا أَمْتَا } ؟ [ طه : 105إلى 107 ] فقد جَعلناها في ذلك الوقتُ مُسْتَمْسِكَةٌ ثابتةٌ مُستقرةٌ بَدونِ الجبالِ ، فثَبتَ أنها ليستْ بِسبب الإرساءِ في التحقيقِ . ويكونُ فيهِ تَعريفُ الخلقِ وجوهُ الحيلِ في الأمورِ إذا تَعذرَ عليهم الوصولَ إليها .

8-(وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا)

الآية 8 : وقولُه تعالى : { وخلقناكم أزواجا } قيل : ألْوانا ، فيكونُ في هذا إبطالٌ[ لحكمِ تَقُولُهُ القَائفةُ ] لأنهم يَستدلونَ بالتشابهِ في الألوانِ ، ويحكمون بها . ولو كانَ الأمرُ على ما قَدَّروا لارتفعَ الاختلافُ في الألوانِ ، فيكونُ الخلقُ كلُّهم على لونٍ واحدٍ .
وقيلَ : { أزواجا } فِرَقا شَتّى لِيَعْرِفَ كلٌّ منهم عنْصُرَهُ ومُنتهى أصلَهُ . وقِيلَ : { أزواجا } أي جعلَ لكلِ أحدٍ شَكلا مِن جِنسه ِ.

9-(وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا)

الآية 9 : وقولُه تعالى : { وجعلنا نومكم سباتا } قيلَ : السُّباتُ التَّمدُّدُ/ وقيلَ : السباتُ النومُ الذي لا حركةَ فِيهِ . ولهذا قيلِ للذي شَبيهٌ بالميتِ : مَسبوتٌ ، وقيلَ : السباتُ الراحةُ ، ولذلكَ سُمّي [ يوم السبتِ سَبْتَا ] [17](file:///C%3A%5C%5CUsers%5C%5Cpc%5C%5CAppData%5C%5CLocal%5C%5CTemp%5C%5CTempNoteT.htm%2317%22%20%5Ct%20%22Notes) لأنه يومُ راحةٍ وتركُ العملِ في بني إسرائيلَ .
ثم في إنشاءِ النومِ دليلُ سلطانهِ ودخولِ الخلقِ بأجمعِهم تحتَ تدبِيره ؛ إذ لا يَتهيأُ لأحدٍ الاحترازَ مِن النومِ حتى لا يَعتَريهِ ، بل يَقهرُ الجبابرةُ ، فَيَذُلَّهُم ، ولا يُمكِنُهُم الخلاصُ مِنه بالحيلِ والأسبابِ .
ثم النومُ مِن أثقلِ الأحمالِ وأشدِّها ، ثم إذا زايلَ الإنسانُ ، وعادَ المرءُ إلى حالِ اليَقظةِ ، وجدَ في نَفسهِ خِفةٌ ورَاحةٌ ، ومِنْ شَأنِ هذا الإنسانُ أنَّهُ إذا حَملَ الحِمْلَ الثقيلَ مَسَّهُ مِن ذلك فتورٌ وكَلالٌ ، لا يَزول عنهُ ساعةَ ما يَضعُ الحملُ عن نفسهِ ، بل يَبقى ذلكَ الكلالُ فيهِ إلى مدةٍ . فمَن تدبَّرَ في أمرِ النومِ دَلَّهُ على عِظَمِ شَأنهِ وعجائِبِ تَدبِيرهِ .

10-(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا)

الآية 10 : وقولُهُ تَعالى : { وجعلنا الليل لباسا } فهذا اللباسُ لِباسُ الأعينِ ، لا غيرَ . ألا تَرى أنه لا يُستغنى بلباسِ الليلِ عمّا أُخذَ عليه مِن اللباسِ لِلصلاةِ ؟ ولا يَعمل لباسُ الليلِ عمّا عملَ اللباسُ المعروفِ في دفعِ أذى البردِ والحرِّ ؟ .
وقال بعضُهم : اللباسُ السكنُ كما قالَ في آيةٍ أخرى : { وجعل الليلَ سَكنا } [ الأنعام : 96 ] فكانَ الذي حملَهم على هذا التأويلُ ، هو أنَّ تمامَ السكنِ والراحةِ يقعُ بالنومِ ، فصَرفُوهُ إليهِ .

11-(وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا)

الآية 11 : وقولُه تعالى : { وجعلنا النهار معاشا } أي يُتعَيَّشُ فيهِ لا أنْ يكونِ نَفْسَهُ مَعاشا كما سَمَّاهُ{ مُبصرا }[ يونس : 67و . . . ] لما يُبْصَرُ فيهِ لا أنه في نفسهِ مُبصرٌ .

12-(وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا)

الآية 12 : وقولُه تعالى : { وبنينا فوقكم سبعا شدادا } أي السماواتُ ، فذَّكرَهم هذا لِيُنَبِّهَهُم إلى قدرتِه وسلطانِه ، فَيعْرِفوا أنه قالَ : { إن ربكَ فَعالٌ لما يُريدُ }[ هود : 107و . . . ] قادرٌ على ما يشاءُ .

13-(وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا)

الآية 13 : وقولُه تعالى : { وجعلنا سراجا وهاجا } فكانَ السراجُ ، هو الشمسُ هَهُنا ، جَعلها تَتوهجُ ، وتَتلألأُ ما بينَ السماءِ والأرضِ .

14-(وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا)

الآية 14 : وقولُه تَعالى : { وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا } فمنهُم مَن ذَكرَ أنَّ الْمُعْصراتِ هي السحابُ التي أُنشيءَ فيها القَطرُ ؛ يُقالُ للجاريةِ التي دَنَتْ حَيضَتُها : مُعْصِرَةٌ ، فشَبَّهَ السحابَ بمعاصِرِ الْجَواري ، وقيلَ : سُميَّ السحابُ مُعصرا لأنه يَعصرُ الْمطرُ ، وقِيلَ : ذواتُ الأعاصيرِ ، يعني الرياحُ كقولهِ : { فأصابها إعصارٌ }[ البقرة : 266 ] أي رِيحٌ .
وعن الحسنِ : هي السماواتُ ، وقال الزجاجُّ : الْمُعصرُ ، هو الذي قد أتى وقتَ إرسالِ القطرِ منهُ كما يُقالُ : مَجْزَرٌ لِمَا أتى وَقْتُ جَزَارِهِ.
ثم في إنزالِ الماءِ مِن المعصراتِ تَذكيرُ النعمِ والقدرةِ والحكمةِ ، وكلُ وجهٍ مِن هذهِ الأوجهِ الثلاثةِ يُوجبُ القولَ بالبعثِ .
فأما وجهُ تذكيرُ النعمِ ، وهو أنْ القطرَ يَنزلُ مِن السماءِ مُتَتابعا ، ثم اللهُ تعالى بِلطفهِ ، يَمنعُ اتصالُ بعضٍ ببعضٍ والتصاقُهُ ، ويُرسلُ كُلُّ قَطرةٍ إلى الأرضِ بَحَيَالها ، ويُنزلُ بَعضها على إثْرِ بَعضٍ ، لِيُنْتَفَعَ بهِ . ولو الْتَصقَ بَعضُها ، واتصلَ لم يَقُمْ لها شيءٌ ، وكانتْ تَصيرُ سَببا للتعذيبِ والإهلاكِ . فَبِفضلهِ ورَحمتهِ أَنَزلها مُتتابعةٌ لَينتفعَ بها الخلقُ ، ويَتمتعوا بها .
وفيه تذكيرُ القوةُ الحكمةُ لأنه أنشأَ السحابَ الثِّقالَ ، وسَاقَهُ إلى الموضعِ الذي قَدَّرَ أنْ يُرسِلَ القطرُ إليهِ .
ومعلومٌ أنَّ ذلكَ الإرسالُ ليسَ مِن فِعْلِ السحابِ ، لأنَّ السحابَ يَمتنعُ عن إرسالِ القطرِ حتى ينتهيّ إلى الموضعِ الذي أُمِرَ بإرسالِ القطرِ فيهِ ، ولو كانَ ذلكَ[ مِن ] السحابِ نَفسِه لكانَ أينَ مَا مَرَّ يَعملُ في الإرسالِ ، ولو كانَ ذا ثُقبٍ لكانتِ الريحُ متى دخلتْ في الثُّقبِ أرسلَ السحابَ ما أَنشأَ فيهِ مِن القطرِ .
فإذا لم يُوجدْ ذلكَ بأنَّ[ أن ] اللهَ تعالى بحكمتهِ وقدرتِهِ ولُطفِهِ ، هو الذي أنشأَ فيهِ ذلكَ ، ودَبَّرَ إرسالَهُ لا أنْ يكونَ ذلكَ عَملُ السحابِ . ولو أرادَ أحدٌ مِن حكماءِ الأرضِ أنْ يَعرفَ المعنى الذي لَه صَلحَ ذلك السحابُ أنْ يَستمْسِكَ فيهِ القطرُ ، ولا يَستمسِكَ في مكانٍ آخرٍ ، لم يَقفْ عليهِ . فذكَّرَهم لِيعلموا أنَّ حِكمتَهُ ليستْ على الوجهِ الذي ينتهي إليه حُكْمُ البشرِ[ وقدرتُهُ غَيرُ ] مُقدَّرَةٍ بِقوى البشرِ ، بل هو قادرٌ على ما يشاءُ{ فعال لما يريد }[ هود : 107و . . . ] .
وفيه أنَّ تَدبيرَ السماءِ والأرضِ والهَويِّ يرجعُ إلى الواحدِ القهارِ ؛ إذ لا يَتهيأُ لأحدٍ أنْ يمنعَ القطرَ المرسلَ مِن السماءِ عن الوصولِ إلى الموضعِ الذي أمَرَ أنْ يَنتهي إليهِ . والثَّجاجُ القطرُ المتتابعُ بَعضُهُ على إثْرِ بعضٍ ، والثلجُ الصَّبُ والإراقةُ .

15-(لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا)

الآية 15 : وقولُه تعالى : { لنخرج به حبا ونباتا } فجائزٌ أنْ يكونَ ذَكر الْحَبَّ لأنهُ المقصودُ مِنْ زِراعةِ ما يكونُ له الحبُ ، فَذَكره لما إليه ينتهي القصدُ ، ويكونُ ذِكرُ النباتِ مُنصرِفا إلى مَا[ لا ] حَبَّ لَهً لأنَّ القصدَ مِن زراعتهِ النباتُ ، لا غيرَ .
وجائزٌ أنْ يكونَ مُنصرفا إلى شيءٍ واحدٍ لأنَّ الذي فيهِ النباتُ أيضا .

16-(وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا)

الآية 16 : وقولُه تعالى : { وجنات ألفافا } قد ذكرنا أنَّ الجنةَ ، هي اسمُ المكانِ الْمُلْتَفِّ بالأشجارِ ، وهي التي اجتمعتْ فيهِ الأشجارُ .